مقياس: فلسفة النقد

السنة الثانية ليسانس (دراسات نقدية)

المحاضرة الثالثة: الجدلية المثالية عند هيجل

1- المثالية عند هيجل:

يعد هيجل الفيلسوف الأهم في المدرسة المثالية الألمانية، وتقوم فلسفته على اعتبار أن الوعي سابق للمادة، ويرى هيجل أن هناك حقائق مطلقة في هذا الكون، ويعمل العقل البشري بكل من المادة والوعي ضمن علاقة مركبة بينهما على اكتشاف تلك الحقائق التي تجتاز في حقيقتها وماهيتها حدود المادة القاصرة نفسها على تفسير مثل تلك الظواهر.

ويقول هيجل عن فلسفته إنها احتوت الفلسفات السابقة جميعا، فهو امتداد وتفسير لما أراد من سبقه من الفلاسفة أن يقوله ولم تسعفهم التجربة الإنسانية في الاستدلال أو الإيضاح، وتقوم فلسفته على الجدل، يقول: "لقد كانوا ينظرون الى الجدل على أنه جزء منفصل عن المنطق وهم بذلك يسيئون فهمه، أما نحن فنضع الجدل وضعا يختلف عنهم أتم الاختلاف".

وتنقسم فلسفة هيجل إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

– المنطق أو علم الفكرة الشاملة في ذاتها ولذاتها؛ إذ تدرس الفكر الخالص أو الفكر في ذاته ولذاته فيكون المنطق هو علم الفكرة الخالصة او هو علم الفكرة الشاملة في وسطها الفكري الخالص.

– فلسفة الطبيعة أو علم الفكرة الشاملة في الآخر؛ تدرس الفكر حين ينتقل الى الاخر اي نقيضه او حين يخرج من عالمه الخالص الى عالم اخر غير ذاته من الفكر

الخالص الى المادة الصلبة فالفلسفة الشاملة في فلسفة الطبيعة تضييع نفسها في تخارج وتسلخ نفسها من وجودها المناسب.

– فلسفة الروح أو علم الفكرة الشاملة وقد عادت من الآخر إلى نفسها؛ وفيها تدرس هذا الفكر نفسه حين يعود من الآخر إلى ذاته؛ أي إلى حياته الروحية متحررا من العبودية الطبيعية.

وهذه الأقسام الثلاثة لا تدرس إلى موضوعا واحدا هو الفكرة الشاملة في مراحلها المختلفة أو العقل في صورة المتنوعة: العقل محضا في المنطق والعقل في حالة تخارج مع فلسفة الطبيعة والعقل حين يعود إلى نفسه.

ومعنى ذلك أن المرحلة الثالثة تجمع بين المرحلتين السابقتين في مركب واحد، فالإنسان من ناحية جزء من الطبيعة فهو حيوان، وهو وجود مادي خارجي يخضع لسيطرة قوانين الطبيعة، وهو من ناحية أخرى وجود روحي أو كائن حي عاقل له عالم روحي واسع.

وقد انتهى هيجل إلى أن الفكر جدلي الطابع، وأنه يسير على إيقاع ثلاثي من إيجاب إلى سلب إلى تأليف بينهما؛ وتلك هي ماهية الفكر وطبيعة الروح.

وتبعا لذلك قسم المنطق إلى ثلاث دوائر:

– دائرة الوجود هي دائرة المباشر فالموجود هو دائما شيء مباشر

– دائرة الماهية هي دائرة التوسط فانت لا تستطيع ان تصل إلى الماهية إلا من خلال الآخر أي من خلال الوجود.

– دائرة الفكرة الشاملة هي المركب منهما؛ أي المباشرة التي يكمن في جوفها التوسط، فالفكر هو المباشر الذي يتضمن التوسط في داخله.

2– الفن والجمال عند هيجل:

يعرف هيجل الفن بأنه تجسد الفكرة (المضمون الروحي) في المادة أو الشكل، وتكمن مهمة الفن في التوفيق بين هذين الجانبين: الفكرة وتمثيلها الحسي بتشكيل كلية حرة منهما، ومقدار تطابق الفكرة مع الشكل هو الذي يحقق درجة سمو الفن وجماله.

وقد صور هيجل أشكال هذه العلاقة التي تربط الروحي بالحسي في آصرة الفن في ثلاثة أشكال: تمثلها ثلاث مراحل:

أ- المرحلة الرمزية – الفن المعماري:

ويقصد بها تخلف المادة الحسية عن التعبير عن الفكرة، فالشكل الفني هنا فقط يشير إلى الفكرة رمزا، ولكن يفشل في الإفصاح عنها؛ إذ تبدو الفكرة غامضة مشوشة وغير محددة، ويرجع هيجل هذه المرحلة إلى نتاج الحضارات الشرقية القديمة في الفن المعماري، من خلال بناء المعابد، ويقدم لنا هيجل مثالا على ذلك ببناء الأهرامات فهي قبور محصنة للملوك تمثل كما يقول: "صورة الفن الرمزي في مطلق بساطته، فهي عبارة عن بلورات هائلة الحجم، أشكال خارجية خلقها الفن لتحمي شيئا ما داخليا"؛ فالأهرام هي المظهر الشكلي للمضمون الفني.

ب- المرحلة الكلاسيكية – فن النحت:

في هذه المرحلة، يتفتق العقل البشري، ويصبح قادرا على تمثيل المطلق في صورة محسوسة تعبر عن تجليه في الفن، وأصبح للفن تعييناً فردياً مباشرة في الطبيعة بعكس بعض التجسيدات الرمزية التي كانت تحاكي المطلق بأشكال مشوهة أو غامضة، لقد أضحى الشكل الإنساني المثالي علامة على هذه المرحلة، من هنا نلج عصر النحت حيث يتم اختزال المطلق في الجسد البشري، كما يتم تجسيد الحضور الإلهي في المعابد التي سبق أن تم إنجازها في الفن المعماري، النحت أكبر قدرة على تشكيل المادة، لكي تعبر عن الروح، لا في رموز حيوانية أو شكلانية، ولكن في أجساد بشرية مكتملة، هذه هي الروحانية التي يسعى لها الفن.

ج- المرحلة الرومانسية – الرسم والموسيقى والشعر:

في هذه المرحلة لا نشهد قصورا في تعبير المادة عن الفكرة كما في الفن الرمزي، بل بالعكس من ذلك، نشهد علوا في الفكرة على المادة، فالروح المطلق يسمو على المادة، لتغدو حرة تتجلى من دون قيود الحسي.

ويسمي هيجل هذه المرحلة أيضا بالفن المسيحي، إذ لم يعد المضمون عبدا للشكل، بل طغى المضمون على الشكل، فتجلت الفكرة في حرية أكبر في الفن الرومانسي، فالحياة الداخلية الذاتية هي التي تسيطر على الشكل، وتبرز سمو أكبر للروح المطلق.

من هذا المنظور، من الطبيعي أن تتجلى الروح المطلق في فنون أكثر تجريديةً من فن العمارة والنحت كما هو الحال في المرحلتين السابقتين، فالرسم والموسيقى والشعر هي الفنون البارزة في هذه المرحلة الرومانسية، ويرجع هذا لجوهرها الذي يتسم بالتجريد الروحي.

وللعمل الفني غاية فنية محضة، ولها وسائل مصدرها أنواع النشاط في المجتمع والعصر الذي يحيا فيه المبدع، وضمن حدود هذا النشاط تتجلى الفنون والآداب متأثرة بنظم العصر وتقاليده، فتكون بذلك ذات طابع تاريخي.